الأطر العالمية المتعلقة بحقوق كبار السن

الدكتور نبيل قرنفل

صباح الخير، وأهلاً وسهلاً بالمشاركين في هذه الندوة الإفتراضية لمناقشة موضوع مهم للجميع ألا وهو **"حقوق كبار السن"**، والشكر كل الشكر لمنظمة الاسكوا ولمكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان، بالأمم المتحدة (المكتب الاقلمي للشرق الأوسط وشمال افريقيا) لتنظيمهما هذه الحلقة النقاشية بمناسبة اليوم العالمي لكبار السن " المصادف في أول أوكتوبر – تشرين الأول من كل عام".

يُعتبر مؤتمر فيينا 1982 نقطة انطلاق الجهود الدولية للتركيز على الشيخوخة والتعمُّر وكبار السن، وأتى هذا المؤتمر بعد دراسات عديدة وإحصائيات ركزت على العوامل الديموغرافية التي أبرزت زيادة نسبة كبار السن في المجتمعات عامةً، لاسيما في الدول الغربية- وكانت خطة عمل فيينا أول الغيث للعديد من المؤتمرات والقرارات الدولية – التي تمَّ اعدادها وتنظيمها من قبل منظومة الأمم المتحدة. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر المؤتمر الدولي للسكان والتنمية الذي عقد في القاهرة عام 1994، ومن ثم مؤتمر مدريد عام 2002. الذي اعتمد خطة عمل ركزت على أسسٍ ثلاثة للعمل الدولي في مجال الشيخوخة ألا وهي كبار السن والتنمية وبيئة تمكينية، حاضنة وداعمة وتوفير الرعاية الصحية والرفاهة لكبار السن ولنا أن نذكر في هذا المجال الخطة العربية التي واكبت خطة عمل مدريد، والتي تمَّ اعتمادها أيضاً في العام نفسه. (وتجدون طيه لائحة بأهم المؤتمرات حول التعمُّر).

ونذكر كذلك في هذا المجال إنشاء فريق عمل ضمن منظومة الأمم المتحدة عام 2010 للتركيز على حقوق كبار السن وحمايتها. وكانت مناسبة اليوم العالمي لكبار السن عام 2008 المبادرة الأولى لمناقشة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية ذات الصلة موضوع حقوق كبار السن منذ ذلك الوقت.

وتجدر الإشارة في هذا المجال إلى نص الخلفية لهذه الحلقة النقاشية التي تمَّ اعدادها من قبل المسؤولين عن هذه الندوة وعنوانها " **كبار السن في العالم العربي الواقع الراهن وآفاق الحماية والتمكين**" ففي هذه الخلفية معلومات مميزة وممتازة عن تطوُّر وزيادة الإهتمام بكبار السن من العقود الثلاثة الماضية دولياً كما في منطقتنا، وتشير هذه الورقة التي تمَّ توزيعها للمشاركين في هذا اللقاء اليوم أنه "وفيما لا يوجد صك دولي ملزم لحقوق الإنسان مُعنى بحقوق كبار السن هناك اتفاقية البلدان الأميركية لحماية حقوق الإنسان لكبار السن والبروتوكول المتعلق بحقوق كبار السن في افريقيا الملحق بالميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب. وقد أثبتت التجربة ان اتفاقيات حقوق الإنسان المتخصصة على الصعيدين الدولي والاقليمي قد ساهمت بشكلٍ ملموس وملفت للنظر في أعمال حقوق الإنسان للفئة التي تحميها الإتفاقية ذات الصلة، وهناك مطالب متزايدة لوضع صك معياري جديد يخصص لحقوق الإنسان لكبار السن على اعتبار أن من شأن ذلك أن يُسهم في ضمان تمتع كبار السن تمتعاً كاملاً بجميع حقوقهم الإنسانية. كما تمَّت الإشارة بأن الإفتقار إلى صك قانوني دولي شامل ومتكامل لتعزيز وحماية حقوق كبار السن وكرامتهم نتج عنه تشرذم السياسات المعتمدة وضعف التناسق فيما بينها، وغابت المبادئ التنظيمية التي يمكن للحكومات أن تسترشد بها لوضع السياسات والآليات. وكون الأطر الراهنة

ومنها خطة عمل مدريد غير ملزمة قانونياً، يصعب المساءلة حول التقصير في إحقاق حقوق كبار السن".

ولعلَّ من أسباب عدم إصدار معاهدة حول حقوق كبار السن، بعد كل هذه المناقشات، قد يكون متعثراً بسبب نظرة المجتمع إلى المسنين وإلى الصورة النمطية المعتمدة - حيث أن غالباً ما يصوِّر كبار السن على كونهم "عجزة" أو مصابين بإعاقة جسدية أو عقلية أو من شيوخ يستنهضون الرأفة والشفقة - وبالتالي فالخدمات المتوفرة لهم هي من نوع "المنَّة" والتكرُّم- بدلاً من أن تكون حقاً من حقوق المواطنة- هذه الفئة العمرية التي جهدت وجاهدت في بناء المجتمع والإعداد لحاضره- كما أنها تمثل الذاكرة الجماعية لكافة المواطنين الأصغر سناً.

ولهذه الأسباب وغيرها، قد يكون من المستحسن والمفيد أن يتم استنهاض كبار السن بالتعاون مع الجهات المسؤولة عنهم والداعمة لحقوقهم – أن تبادر إلى تأسيس مجموعات تعمل على دعم حقوقهم- بالتعاون مع كبار السن أنفسهم- وتعمل بجدية وعلم إلى استصدار القوانين والتشريعات لهذه الحقوق – ولنا في الدول المتقدِّمة أمثلة على هذا المجهود وهذا التحرُّك.

ونبرز هنا أهمية وسائل الإعلام ووزارات التربية والثقافة لصياغة برامج تبرز دور كبار السن في المجتمع، وبالتالي تركز على امكانيات هذه الفئة العمرية وأهمية التعاون بين الأجيال، ودعم التعاضد الأسري وبرامج البقاء في المنازل.

كما نتمنى أن تبادر البلديات بدورها في اعتماد منهجية المدن أو البلدات الصديقة لكبار السن وهو برنامج دولي تمَّ اقتراحه وصياغته من قبل منظمة الصحة العالمية والمنظمات الدولية الأخرى المساندة والذي اعتمد في معظم الدول. والذي يتناول شؤون يومية حياتية تواجه المسنين نذكر منها التواصل الإجتماعي سلامة السكن والأرصفة والمواصلات وتواجد الحدائق والمقاعد والمراحيض العامة والرعاية الصحية الإجتماعية والمحاضرات الثقافية.

أعود وأكرِّر بأن الإحصائيات المتوفرة في دول المنطقة تؤكد اندماج كبار السن في العمل والجهد والنشاط الإجتماعي والإنساني في كافة الحقوق لما يتمتعون به من علمٍ وخبرة وجهد وأخلاق واندفاع لتوفير حياة أفضل لكافة المواطنين – كباراً أو صغاراً ذكوراً أو نساءً.

وهنا لا بدَّ لي من التركيز على الموضوع العالمي الذي اعتمد لليوم العالمي لكبار السن لهذا العام 2022 ألا وهو"مثابرة كبيرات السن ومساهمتهن".

"نظراً للدور الحيوي الذي تلعبه كبيرات السن في أسرهن ومجتمعهن، والتحديات الهيكلية والمجتمعية التي تواجههن وتجعلهن أكثر عرضةً لمخاطر الفقر والمرض والعزلة والتمييز، وغالباً ما تُستثنى كبيرات السن من عملية صنع القرار ومن السياسات المعتمدة التي تؤثر على حياة كبار السن. احتفالية هذا العام لليوم العالمي للمسنين تمثل دعوة للعمل وفرصة متاحة لشمول أصوات المسنات وأظهار إسهاماتهن في المجتمع".

وتجدر الإشارة بأن فئة النساء الكبيرات في السن هي الأكثر عرضةً للتحديات التي ترافق التقدُّم في السن كونهن غالباً من الأرامل ومن اللواتي لا تستفيد من نظم التقاعد.

أختم هذه المداخلة الصباحية آملاً أن تثمر جهودنا وجهود المسؤولين عن هذه الحلقة في ترسيخ المفاهيم الحديثة والقيمة لكبار السن- إذ انهم فئة عمرية قد تكون من أبرز المعطيات الديمغرافية في عالم اليوم- وقد شكلت هذه الفئة العمرية تغيراً كبيراً وملحوظاً في عالم اليوم وشـــــــــــكراً.

ملحـــــــق
لمحة تاريخية عن تطوُّر الإهتمام بكبار السن

1- عام 1978 : اتخذت الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة قراراً بتنظيم الجمعية العالمية للشيخوخة بهدف وضع خطة عمل دولية وتلبية احتياجات الشيخوخة ومتطلباتها.

2- عام 1982: عقدت الجمعية العالمية الأولى للشيخوخة في فيينا واعتمدت خطة عمل فيينا الدولية للشيخوخة وهي أول وثيقة عالمية تعنى بالمسنين. حدَّدت ثلاث توجهات هي - إدامة التنمية في عالم يتزايد سكانه تقدُّماً في السن- المحافظة على الصحة والرفاه حتى سن متقدِّمة- وتهيئة بيئة مناسبة ومؤازرة لجميع الأعمار. تناولت خطة عمل فيينا عدداً من القضايا منها: الصحة، التغذية، الإسكان والبيئة، الأسرة والرعاية الإجتماعية، ...

3- عام 1990: عيَّنت الجمعية العامة 1 أكتوبر اليوم العالمي لكبار السن بموجب القرار الرقم 106/45 المؤرخ في 14 كانون الأول 1990.

4- عام 1991: مبادئ الأمم المتحدة المتعلقة بحقوق كبار السن تعتمد على أساس خطة العمل الدولية للشيخوخة.

5- عام 1992: - أعلان بشأن الشيخوخة: يبرز استراتيجية عملية ويحث على عدة نقاط منها تشجيع تنفيذ خطة العمل الدولية للشيخوخة ونشر مبادئ الأمم المتحدة على نطاق واسع.

6- عام 1999: على الصعيد الدولي: أعلنت السنة الدولية لكبار السن وكان شعارها "مجتمع لكل الأعمار". وعلى الصعيد الوطني: تمَّ إنشاء الهيئة الوطنية الدائمة لرعاية شؤون المسنين في لبنان. كما تمَّ إعلان يوم الجد والجدة في الأحد الأخير من شهر حزيران.

7- عام 2002: - الإجتماع العربي التحضيري (5-7 شباط) للجمعية العالمية الثانية للشيخوخة، الجمعية العالمية الثانية للشيخوخة- مدريد من 8-12 نيسان صدر عنها ثلاث توجهات: كبار السن والتنمية. - توفير الخدمات الصحية والرفاه في سن الشيخوخة. - وكفالة تهيئة بيئة تمكينية وداعمة.

8- عام 2006: أطلقت الشبكة العالمية لمناهضة العنف ضد كبار السن (The International Network for the Prevention of Elder Abuse ((INPEA) اليوم العالمي لمناهضة العنف ضد كبار السن في 15 حزيران من كل عام.

9- عام 2009: اعتمد مجلس وزراء الشؤون الإجتماعية العرب في دورته العادية التاسعة والعشرين يوم 25 سبتمبر/ أيلول من كل عام يوماً عربياً لكبار السن، يتُّم الإحتفال به في الدول الأعضاء كافة.